الحذف

ماهيته:

الحذف مكون من مكونات الربط النصي التي لا يستغني عنه أي مبدع، تكون له فاعليته ما أحسن استغلاله وتوسل به في المواضع التي تستدعيه، **وهو إجراء يسقط من الكلام ما توفّر عليه دليلٌ، وهو حاجة اقتضتها العرف اللغوي العربي نزوعا إلى الاستخفاف وطلبا للإيجاز، فاستغنت عما لم يكن عمدة في الكلام، أو"مما يصطدم بالذوق العربي الذي يكره توالي الأمثال"**[1].

استجلى قيمة الحذف البلاغية ومسحته الفنية عبد القاهر الجرجاني (ت471ه) في فصل القول في الحذف إذ يقول:**" هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"**[2]. وهو ما حدا بعلماء اللغة أن يولوه من الاهتمام ما جعله من أجل المباحث في الدراسات النحوية والبلاغية والأسلوبية، فهذا ابن جني يفرد له بابا أسماه"باب في شجاعة العربية" [3]، لأن "الحذف يؤدي إلى ظهور فراغ قاطع للرابط اللغوي الذي يشد لفظة بأخرى شدا ينشأ عنه سياق متواصل محكم البناء يكوّن البنية التركيبية المألوفة للجملة العربية[4]. وهذا من شأنه أن يجعل المتلقي شريكا في العملية الإبداعية، حين يهتدي إلى ملء الفراغ البنوي، وهو ما يوفر له إمكانية التجانس مع العمل الإبداعي، فالمساهمة في تفعيل القراءة باعتبارها إبداعا ثانيا، معتمدا في ذلك على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق من قرائن ودلالات، ليتوقع ما يحتمل وروده. وهذا ما اشترطه النحويون في الحذف وعلى رأسهم سيبويه إذ يقول:" وأضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافا، ولأن المخاطب يعلم ما يعي[5]، فلا تساق إليه المعاني معلبة على الأحجام التي يُريدها المبدع – إن استطاع إلى ذلك سبيلا- بقدر ما تفتّح له مجالات التأويل في ظل ما يوفره الحذف من إمكانات تكون بمثابة المثيرات التي تستفز المتلقي فتبعثه على التأويل تحريا لما حُجِبَ من المعاني، إذ لو ضُيّق مجال التأويل بذكر ما يمكن حذفه وقدمت المعاني أسيرات القوالب اللفظية، لمجّها الذوق وتحاشاها القارئ الأبي، لما يحسه فيها من جبر وإكراه، فتتلاشى دون ذلك أسرار فن القول ولطائفه.

أنماط الحذف:

يقرر ابن جني أن الحذف يعتري" الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل يدل عليه"[6]، فتعددُ مظاهر الحذف يتيح للمبدع خيارات أوفر فلا تضيق إزاءها مجالات القول و"يوحي للمتلقي بدلالة بلاغية وأسلوبية عميقة...لا تتحقق بذكر ما حذف من البنية التركيبية [7]. يدخل الحذف في تشكيل البنية اللغوية واتساق مكوناتها، إضافة إلى ما يحققه من إيقاع الشعر ويولّده من بلاغة الخطاب.

أنماط الحذف

حذف الحرف:

- **حرف أصلي**

من ذلك قوله [الكامل]

مَا بَانَةُ الوَادِي تَثَنَّى خُوطُهَا لَكِنَّهَا اليَزَنِيَّةُ السَّمْرَاءُ 1/8

---

[1] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994، ص: 298.

[2] - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 146.

[3] - ينظر الخصائص ج2، ص: 360 وما بعدها

[4] - بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحتري دراسة بلاغية إيقاعية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص: 47.

[5] - سيبويه، كتاب سيبويه الكتاب، ج1،ص:224.

[6] - ابن جني، الخصائص، ج1، ص"360

[7] - بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحتري دراسة بلاغية إيقاعية، ص: 47.

فالفعل" تَثَنَّى" أصله "تتثنّى" حذفت إحدى التائين للتخفيف، وتثنّى الشيء وانثنى انعطف وارتد بعضه على بعض، أفاد الحذف في هذا الموضع الخفة والسرعة، لأن ما تمايل حول المتغزل فيها ليس"بان الوادي" بل هو"الرماح السمر" لأن أهلها يحمونها بالسيوف والرماح.

وفي قوله [الطويل]

سَلُوا طَيءَ الأَجْبَالِ أَيْنَ خِيَامُهَا وَمَا أَجَأَ إِلاَّ حِصَانٌ وَيَعْبُوبُ 6/3

ورد فعل الأمر"سلوا" مخفَفَ الفعل "إسألوا " مراعاة للوزن الشعري، إذ تتحقق بـ"سلوا طي" تفعيلة "فعولن" بخلاف "إسألوا طي" فبها تحصل تفعيلة "فاعلاتن" مما لا يتوافق مع وزن بحر الطويل. وأما قوله من [المتقارب]

دِيَارُ الأَعِزَّةِ، لَكِنَّهَا مُكَرَّمَةٌ مِنْ مَشِيدِ البِنَا 2/27

أَلَا إِنَّ حَقًّا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ هُوَ الحَقُ لَيْسَ بِهِ مِنْ خَفَا 2/66

ففيه جاءت لفظتا "البنا" و"الخفا" مخففتين، لأن أصلهما "البناء" و"الخفاء" أسقطت الهمزة فيهما للضرورة الشعرية. وكذا في قوله [البسيط]

لَكَ المَوَاهِبُ أُولَاهَا وَآخِرُهَا عطاءَ ربٍّ عَطَاءً غَيْرَ مَجْــدُودِ 22/76

لم يقل و"أخراها" وهو الاستعمال الصحيح، اضطر الشاعر لاستعمال صيغة المذكر صفة للمؤنث للضرورة الشعرية

- **حذف همزة الاستفهام في المعطوف**: ومن ذلك قوله [الطويل]

أَآيَاتُ نَصْرٍ أَمْ مَلَائِكُ حُوَّمٌ وَأَطْرَافُ أَرْضٍ أَمْ سَمَاءُ تُدَوَّخُ 20/57

يقدر الملفوظ الشعري بإضافة [أ] الاستفهامية في عجز البيت بعد واو العطف"و[أ] أطراف..." وحذفها يحيل على وجودها في البنية العميقة، فجاء الحذف عنصرا منظما للنصية، ولو أن همزة الاستفهام [أ] لم تحذف لجاء الإيقاع فاسدا بفساد التفعيلة، ولَقَلَّ نبض الشعر وفقد الخطاب مقوما من مقوماته الأساسية،

حذف حرف الجر "في" .

أَفِي الشَّمْسِ شَكٌّ أَنَّهَا الشَّمْسُ بَعْدَمَا تَجَلَّتْ عَيَاناً لَيْسَ مِنْ دُونِهَا سِتْر36/10

والتقدير: أفي الشمس شك **في** أنها الشمس.

- **حذف أداة النداء**

وفي قوله [الكامل]

أَبْنَاءَ فَاطِمَ هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا لَجَأُ سِوَاكُمْ عَاصِمٌ وَمُجَارُ؟ 53/47

وتقدير المحذوف على هذا الشكل: [يا]أو[أ] أَبْنَاءَ فَاطِمَ هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا، اتسع البيت الشعري لنوعيين من الحذف أولها حذف أداة النداء "يا" وحذفت تاء التأنيث من الاسم المضاف إليه "فاطمة"، على سبيل الترخيم وفق مذهب المدرسة الكوفية[8]، تعظيما لشأن الممدوح ومراعاة للضرورة الشعرية حتى يستقيم الوزن مع تفعيلات البحر الكامل.

حرف الجر الشبيه بالزائد "رب"

وقد حذف في قوله [الكامل]

وَخُدُورٍ مِثْلِكِ قَدْ طَرَقْتُ لِقَوْمِهَا مُتَعَرِّضًا وَلِأَرْضِهَا مُتَعَسِّفَا 65/11

حذف حرف الجر الشبيه بالزائد "رب" وحل محله" واو رب"، يفيد حرف الجر الشبيه بالزائد التكثير، أي ربّ خدور طرقت، أي (كم من) خدور طرقت.

حذف "أن" الناصبة: كما ورد في قوله [البسيط]

كَمَا رَأَى المَلِكُ المَنْصُورُ شِيَمَتَهُ تَبْدُو عَلَيْكَ مِنْ المَنْصُورِ قَبْلَ [أن] تَلِي 82/82

---

[8] - أجاز الكوفيون ترخيم ذي الإضافة بحذف عجز المضاف إليه، نحو قوله :

أَبَا عُرْوَ لَا تَبْعَدْ فَكُلُّ ابْنِ حُرَّةٍ سيــدعوه داعي ميتة فيجيب

فالأصل (أبا عروة) فحذف عجز ما أضيف إليه المنادى (ة).

- ينظر: ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك لألفية ابن مالك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج4، ص:56.

أراد قبل أن تَليَ، فلما حذف حرف النصب ردّ الفعل إلى الرفع.

حذف المسند إليه:

اقتضى العرف اللغوي العربي أن يحذف المسند إليه (المبتدأ) للعلم به ولاستئناس النفس بهذه الملاحة،"مما جعل الصفة تتقمص

صورة المسند إليه المحذوف بسبب كثرة هذا النوع من الحذف في البنيات التركيبية العربية... وغالبا ما يعتمد واو العطف مسوغا تركيبيا لحذف المسند(الخبر الاسمي والفعلي) [9]. يقول[الكامل]

وَجَرَتْ فَقُلْتُ أَسَابِحٌ أَمْ طَائِرٌ هَلاّ اسْتَشَارَ لِوَقْعِهِنّ غُبَارُ 53/24

ففي البيت وصف لسرعة جياد الممدوح إذ لا يضاهيها لا سابح ولا طائر، الملاحظ أن هذه البنية التركيبية تخللها فراغ قطع الترابط بين عناصر الجملة، فتولد عنه إيجاز بالحذف، والعناصر التي يمكن أن تسدّ ذلك الفراغ المقدر بهذه الصيغة:

أ[هذه الخيل]سابح، أم [هذه الخيل] "طائر" لفرط سرعتها، بحيث لم تعلق بها الأبصار، إذ السَّبْحُ هو المرُّ السريع في الماء والهواء، يستعار لمرّ النجوم وجري الفرس، وقد تقام فيه الصفة مقام الموصوف[10].

- **حذف الموصوف وذكر الصفة:**

وهو أمر جار في العرف اللساني العربي أيضا، إذ كثيرا ما يحذف الموصوف وتنزل الصفة منزلته وذلك لتأكيد الادعاء أن الموصوف قد استغرق الصفة، فإذا هو هي، فلا يشق على المتلقي إدراك أبعاد الموصوف في ظل الإحاطة بالصفة. "فحذف الموصوف إنما شيء قام الدليل عليه، أو شهدت به الحال وإذا استبهم كان غير لائق" [11].

وهو من الأساليب التي درج عليها العربي في بناء خطابه اللغوي" لأنه يحقق تهميش الاسم المحذوف في الذهن والتركيز على الصفة المقرونة به في التركيب ودلالته البلاغية انتقاء الصفة من بين صفات كثيرة لا تخدم غاية الخطاب بحيث يتجه فهم المتلقي رأسا إلى تلك الصفة الثابتة في الاسم المحذوف"[12]. مما جاء على النمط قول الشاعر [الكامل]

عَجَبًا لِمُنْصُلِكَ الْمُقَلَّدِ كَيْفَ لَمْ تَسَلِ النُّفُوسُ عَلَيْهِ مَسِيلَا 78/64

لَمْ يَخْلُ جَبَّارُ الْمُلُوكِ بِذِكْرِهِ إلاَّ تَشَحَّطَ فِي الدِّمَاءِ قَتِيلَا 78/65

يشيد بكثرة تقتيل المعز أعداءه ويعجب للسيف الذي تقلّده، كيف لا يسيل دم عليه؟

قرينة حذف الموصوف "السيف" في البيت الأول توحي بها الصفة " مُنْصُلُ"(*) من خلال سياق الكلام في البيت الذي يليه، إذ لم يسخر جبّار الملوك بذكره إلا قُتِل به وتضرّج بالدم.

يمكن أن نهتدي إلى الموصوف المحذوف بأحد أمرين: الصفة أو النسب، وهما على الأقل نمطان لغويان توسل بهما الشاعر للتعبير عن الموصوف المحذوف.

حذف المبتدأ:

فإذا نظرنا إلى قوله[الطويل]

أَقُولُ دُمىً وَهْيَ الحِسَانُ الرَّعَابِيبُ وَمِنْ دُونِ أَسْتَارِ القِبَابِ مَحَارِيبُ 6/1

9- بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحتري دراسة بلاغية إيقاعية، ص: 132.

10 - زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني، ص: 27

11 - ابن الأثير(ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، القسم الثاني، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، ص:

12- بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحتري دراسة بلاغية إيقاعية، مرجع سابق، ص:

***) يمكن أن نلمح الخلاف في مسألة الترادف من خلال ما نقله السيوطي في كتابه (المزهر) حكاية عن العلامة عز الدين بن جماعة في شرح (جمع الجوامع) من قوله" : حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه :أحفظ للسيف خمسين اسما فتبسم أبو علي وقال :ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات"**

- ينظر: السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط)، 1986، ج1، ص: 405.

نَوَىً أَبْعَدَتْ طَائِيَةً وَمَزَارَهَا أَلَا كُلُّ طَائِيٍ إِلَى القَلْبِ مَحْبُوبُ 6/2

وجدناه يقتضي تقدير محذوف لأن الاسم المفرد "نوى" لا يفيد منْفرداً، طالما "أن المعنى الذي من أجله اختصت الفائدة بالجملة، لم يجزْ حصولها بالكلمة الواحدة، كالاسم الواحد والفعل من غير اسم يضم إليه[13]، فمسوغُ الحذفِ القطعُ والاستئنافُ، حيث بدأ بذكر الغواني وما عناه من شأنهن لفرط ما هن عليه من حسن حتى بديْن كأنهن منحوتات من رخام ليترك الكلام الأول ويستأنف كلاما آخر مفاده أنه ما زال على حبه لمعشوقته ولو حالت بينه وبين مزارها مسافات طويلة.

يحذف الخبر إذا دل عليه دليل أو إذا وقع بعد "لولا" حرف امتناع لوجود، وهو "حرف يتضمن معنى الشرط يدل على امتناع شيء لوجود غيره[14]، مثل قوله[الكامل]:

لَوْلَا انْبِعَاثُ السَّيْفِ وَهْوَ مُسَلَّطٌ فِي قَتْلِهِمْ قَتَلَتْهُمُ النَّعْمَاءُ 1/59

فخبر المبتدأ (انبعاث) محذوف للعلم به تقديره (موجود)، والتقدير: لولا انبعاث السيف موجود، أي لولا قتلهم بالسيف لقتلتهم نعمه عليهم.

حذف المفعول:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ تَشْجُرَ الرُّومُ [Ø] بِالقَنَا فَتُوطَأَ أَغْمَارٌ وَهَضْبٌ شَنَاخِيبُ 6/47

مفعول "تشجّر أي طعن" محذوف أي تشجر الروم المسلمين. يتعجب من غفلة بني العباس عن حماية الدين وحفظ ثغور الإسلام حين تقاتل الروم المسلمين فَتَقْطَعُ البحورَ وتعبرُ الجبالَ وبنو العباس في غفلة لا شغل لهم سوى اللهو والمجون.

ذواتُ نَبْلٍ ضِعَافٍ وَهْيَ قاتلة [Ø] وقد يُصِيبُ كَمِيّاً سَهْمُ رِعْدِيدِ 22/7

حذف معمول اسم الفاعل "قاتلة من تصيب" ليتأتى التركيز على القاتل فيعرف حال المقتول، فلئن كان القاتل ضعيفا فلا شك أن المقتول هو أضعف بكثير وإن كان في الشدائد صنديدا. وتنوين اسم الفاعل يوحي باستمرار القتل، إذ لو قال "قاتلةُ " لفهم أن قتله وقع وانتهى وهو ما يحول دون تحقيق الغاية الفنية التي تتطلبها الشكوى من الحبيب وهي تضخيم ما يلاقيه المحب في مواجهة تعجرف الحبيب والصبر عليه والتعاطف معه لانتهاء معاناته.

حذف المضاف إليه:

لعل ما يساعد المتلقي على إدراك الفراغ البلاغي الذي يسببه الحذف، هو إحساسه اللغوي المتعود على الاسترشاد بالمعيار النحوي، ومن ثم التعامل مع اِلتحام العناصر المكونة للبنية الإعرابية، اِلتحاما يقضي باستحضار العنصر المحذوف من النسق اللغوي لتكتمل محددات المعنى الكامنة في التركيب، فلا يستساغ تركيب ذكر فيه المسند من غير مسند إليه أو مضاف من دون مضاف إليه إلا بعد تلمس أوجه التأويل. "لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع"[15]، كما في قوله [المتقارب]

يُلَاحِظُ قَبْلَ الثَّلَاثِ اللِّوَاء وَيَضْرِبُ قَبْلَ الثَّمَانِ الطُّلَى 2/69

فالثلاث المراد بها السنون الثلاث، وكذا الثّمان، إذ حذف المضاف إليه

أَقُولُ لِصَحْبِي إِذْ تَلَقَّيْتُ رُسْلَهُ وَقَدْ غَصَّتِ البَيدَاءُ خُفّاً ومَنْسِرَا 45/43

وقد غَصَّتِ البَيداءُ خُفّاً ومَنسِرا والتقدير بـ (بذي خف) كناية عن الإبل، والمنسر العدد الخيل.

1. حذف الجملة:

حذف الجمل أقل من حذف المفردات ويكاد ينحصر في أسلوب الشرط والجزاء والقسم، في مثل قوله [الكامل]

بَانَتْ تَتَثَنَّى لَا الرِّيَاحُ تَزُفُّهَادُونِي وَلَا أَنْفَاسِي الصُّعَدَاءُ 1/13

---

[13]- عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد)، كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، (دط)، (دت)، ص:366.

[14]- إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار اشريفة، (دت)، (دط)، باب اللام، ص: 380.

[15] - ضياء الدين بن كثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القسم الثاني، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، (دت)، ص: 296.

الجملة الفعلية المقدرة بـ" تزفها دوني " في الجملة المعطوفة [لَا أَنْفَاسِي الصُّعَدَاءُ] التي تأخذ حكم الجملة المعطوف عليها، إذ حاصل التقدير [وَلَا أَنْفَاسِي الصُّعَدَاءُ تزفها دوني]

وكذا في قوله [الكامل]

وفي قوله [الطويل]

أَتَى دُونَهَا نَأْيُ المَزَارِ وَبُعْدُهُ وَآسَادُ أَغْيالٍ وَجِنٌّ صَرَائِمُ 93/4

وتقدر الجمل المحذوفة كالآتي

أتى دونَها نَأيُ المزارِ وبُعْدُهُ و[أتى دونَها]آسادُ أغْيالٍ و[أتى دونَها]جِنٌّ صَرائم

يعدد الشاعر أسباب منع وصوله إليها، إذ تقف دونه عدة أمور: أولها بُعْدُ مزارها، وثانيهما الرقباء الذين هم آساد في الشجاعة وثالثها جنّ فلوات تحول بينهما.